

أضواء البيان

@ 210 سورة هود : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْدَأَ الْبَشَرِ الْإِنْسَانُ } . .

فلام التعليل في قوله : ليلوكم متعلقة بقوله { خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ } وبه تعلم أنه ما خلقهما إلا خلقاً متلبساً بالحق . . ونظير ذلك قوله تعالى في أول الكهف { إِنْ زَلَّاسًا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِيشًا زِينَةً لِلَّهِ لِيَذَّبَ الْبُشْرَ هُمْ أَيْ يَهُمُّ أَوْ حَسَنٌ عَمَلًا } . وقوله تعالى في أول الملك : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْدَأَ الْبَشَرِ الْإِنْسَانُ } . .

ومما يوضح أنه ما خلق السماوات والأرض إلا خلقاً متلبساً بالحق ، قوله تعالى في آخر الذاريات { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مَصْرَفًا لِيُذَكَّرُوا } . .

سواء قلنا : إن معنى إلا ليعبدون أي لآمرهم بعبادتي فيعبدني السعداء منهم ، لأن عبادتهم يحصل بها تعظيم الله وطاعته ، والخضوع له كما قال تعالى : { فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَآؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } . وقال تعالى : { فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } . .

أو قلنا : إن معنى إلا ليعبدون أي إلا ليقروا لي بالعبودية ، ويخضعوا ويزعنوا لعظمي ، لأن المؤمنين يفعلون ذلك طوعاً ، والكفار يذعنون لقهرة وسلطانة تعالى كرهاً . . ومعلوم أن حكمة الابتلاء والتكليف لا تتم إلا بالجزاء على الأعمال . .

وقد بين تعالى أن من الحق الذي خلق السماوات والأرض خلقاً متلبساً به ، جزاء الناس بأعمالهم ، كقوله تعالى في النجم { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } . .

فقوله تعالى : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } أي هو خالقها ومن فيهما { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا } . . ويوضح ذلك قوله تعالى في يونس { إِنْ زَلَّاسًا لِيَبْدَأَ الْخَلْقَ نَوْمًا يُعِيدُهُ } . .

لِيَجْزِيََ الَّذِينَ آمَنُوا°